قال ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح وفقه الله لما يحب ويرضى ضمن خطابه الذي ألقاه يوم الأربعاء ٢٢ يونيو ٢٠٢٢:

(نناشدكم أبناء وطننا العزيز أن لا تُضيّعوا فرصة تصحيح مسار المشاركة الوطنية حتى لا نعود إلى ما كنا عليه لأن هذه العودة لن تكون في صالح الوطن والمواطنين وسيكون لنا في حالة عودتها إجراءات اخرى ثقيلة الوقع والحدث).

النَّقْدُ المُبَرْمَجُ

قال النائب السابق في البرلمان الكويتي الذي حُلّ سنة ١٩٨٦بلقاء مصوّر عن صراعهم مع سلطة دولة الكويت:

(تم الاتفاق فيما بيننا - أي نواب المعارضة كما يسمّونهم - في اجتماع كبيرفي بيت ... انه لازم نشرع باستجواب العناصر القوية في الحكومة لاسقاط هيبتها ، حتى نشتغل على اسقاط الهيبة ، الهيبة يعني تكمن في اعضاء الاسرة طبعا ، هيبة الحكومة في أعضاء الأسرة)

هذا الاعتراف الصريح والذي تم تسجيله ونشره في عام ٢٠١٩ قاله النائب بإرادته الحرة الواعية.

قالها صراحة أنهم اجتمعوا في اجتماعهم الكبير يريدون الاسقاط، يريدون اسقاط الهيبة، وقالها واضحة ولن تسقط الهيبة إلا بإسقاط أبناء الاسرة الحاكمة تحديدا.

ما نراه اليوم تطبيق عملي لخطاباتهم وكتاباتهم وتصريحاتهم في وسائل التواصل الاجتماعي فأنهم يحضّون ويحرّضون على التذمّر كخطوة على الطريق ؛ لخلق الغضب وإيغال الحنق في الصدور، وهو نهج ابن سبأ قبل ١٤٠٠ سنة، وإن سُمِّي هذا النهج التحريضي بالإصلاحي، أو الليبرالي، أو الديمقراطي، أو القومي التقدمي، أو الدستوري، أو البعثي، أو الشيوعي، أو الناصري، أو الاشتراكي، أو الإخواني، أو نهج أتباع خط الإمام، أو القانوني، أو النهضوي، أو السلفي! فالمسميات لا اعتبار لها، وإنما العبرة بموافقة الشرع المعظم اعتقادًا وقولًا وعملًا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

• فمن قرأ التاريخ الإسلامي يعلم أن ابن سبأ والخوارج قد دعوا الناس إلى منازعة الأمر أهله، وقد قال النبي ﷺ: «بايعوني على... وأن لا تنازعوا الأمر أهله»، ومعنى قول النبي ﷺ في الحديث: «تنازعوا الأمر»: منازعة السلطة، وقوله ﷺ: «تنازعوا الأمر أهله»: منازعة من بيده السلطة والأمر، وهو الأمير.

• وبيعة المؤمن للنبي ﷺ -كما في الحديث- تلزمه إلى الممات، ونسأل الله الثبات، أما هذه المجاميع المحرِّضة اليوم فهي على نهج وفكر ابن سبأ باسم الإصلاح وحرب الفساد، ومآلها في النهاية الخروج على ولي الأمر المسلم بطريقة أو بأخرى، ولذلك هم يسعون دائمًا للنزول إلى الشارع متى ما حانت لهم الفرصة، وتحت شعار: سلمية سلمية سلمية، أو غيره.

• وهذا النهج والفكر قديم في التاريخ الإسلامي، وأول من رفع لواء هذا النهج: مُشْعِل الفتن عبد الله بن سبأ، كما بيَّن ذلك الإمام الآجُرِي رحمه الله (ت 264هـ) في كتابه «الشريعة» قبل أكثر من ألف سنة. وكان ابن سبأ يدَّعي الإصلاح ومحاربة الفساد على خط ونهج الخوارج في عهد الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان -رضي الله عنه-.

• فنهج ابن سبأ هو نهج المعارضة السياسية اليوم في الدول الإسلامية؛ يبتدئون أولًا بالطعن في الأمراء -أي في السلطة- تحت دعوى الإصلاح وحرب الفساد، فيستميلوا بهذه الطريقة قلوب بعض الناس، قال تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ويخبرنا الله تعالى أن فينا من يسمع كلامهم ويُطيعهم، ثم تبتدأ المرحلة الثانية فيبدأ عمل فريق ابن سبأ باستثارة المجاميع المُؤيدة للانخراط تحت راية محاربة الفساد، وهنا أَمَر ابن سبأ أتباعه بتسخير الإعلام والنشر لخدمة «حَرْبه»، من خلال الرسائل والكتابات المسمومة والمملوءة بالأخبار المبالغ فيها والشائعات السيئة؛ ليخلق القلق والسخط في النفوس. وهنا تستطيع «المعارضة» -كما يسمونها اليوم، وليس في الإسلام معارضة، وإنما هي خروج مُحرَّم ومنازعة لولي الأمر المسلم- خَلْق وتوليد الغضب للوصول إلى تكثيف التأييد، ولو كان الثمن أنهارًا من الدماء والأرواح والتشريد! ولكن مرضى القلوب وأهل الحنق والأهواء سيبررون لك كل هذه المآسي والكوارث والمحن، وكذلك سيبررون لك الوسائل المستخدمة من قبلهم تحقيقًا لغاياتهم وأهدافهم، كما فعل ابن سبأ مع أتباعه.

• قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كتابه «فتح الباري»: «إن قتل عثمان -رضي الله عنه- كان أشد أسبابه: الطعن على أمرائه، ثم عليه بتوليته لهم».

• والخوارج شر الناس تحت سماء الدنيا كما وصفهم النبي ﷺ، فقد كفَّروا عليًا ومعاوية -رضي الله عنهما- لتحقيق أهوائهم، ونحن اليوم نرى مجاميع تعمل على خلق التشاؤم وزرع الغضب والقلق في قلوب المسلمين، ومن أساليبهم وهديهم أنهم إذا رأوا حسنة من ولي الأمر غطَّوها ودفنوها وقزّموها، وإذا رأوا سيئة أذاعوا بها وأبرزوها وضخَّموها ودندنوا حولها؛ توليدًا للغضب والسخط في قلوب الناس على ولاة أمرهم، ولننظر اليوم إلى الكلمات والكتابات في وسائل التواصل الاجتماعي سنجدها تجسِّد فكر ابن سبأ ونهجه المبرمج.

• ولذلك سأذكر الأدلة المفصلة الواضحة والمتضافرة في بيان منهج المسلم في معاملة ولي أمره المسلم وحكومته، سواء كان ولي الأمر عادلًا خيِّرًا أو ظالمًا فاجرًا، وقبل ذكر الأحاديث الواضحة في هذا الباب أذكِّر نفسي وإياكم بقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

• قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: «يقسم -تعالى- بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي: إذا حكَّموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلِّمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة».

وقبل الشروع في ذكر أحاديث النبي ﷺ في لزوم طاعة ولي الأمر، أود أن أقول:

• إن العقد المعتبر في الإسلام هو الموافق لأحكام الشريعة ، أما العقد المخالف للشرع فهو باطل ، وإن كان عن تراض بين المتعاقدين ، فالتراضي لا يحل الحرام وقد قال صلى الله عليه وسلم «ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل، وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق، وشرط الله أوثق». فالمسلم يتدين لله تعالى بأن كل شرط وعقد خالف كلام الله وكلام رسوله فهو باطل مردود ، وما لم يخالف كلام الله وكلام رسوله فهو لازم كما قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ»، ولذلك يجب أن تكون العقود والشروط موافقة للكتاب والسنة ، وليس العبرة بمطلق التراضي بين المتعاقدين، قال صلى الله عليه وسلم : «ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة مرة». ، قال ابن تيمية رحمه الله : وَهَذا الحَدِيثُ الشَّرِيفُ المُسْتَفِيضُ الَّذِي اتَّفَقَ العُلَماءُ عَلى تَلَقِّيهِ بِالقَبُولِ اتَّفَقُوا عَلى أنَّهُ عامٌّ فِي الشُّرُوطِ فِي جَمِيعِ العُقُودِ لَيْسَ ذَلِكَ مَخْصُوصًا عِنْدَ أحَدٍ مِنهُمْ بِالشُّرُوطِ فِي البَيْعِ بَلْ مَن اشْتَرَطَ فِي الوَقْفِ أوْ العِتْقِ أوْ الهِبَةِ أوْ البَيْعِ أوْ النِّكاحِ أوْ الإجارَةِ أوْ النَّذْرِ أوْ غَيْرِ ذَلِكَ شُرُوطًا تُخالِفُ ما كَتَبَهُ اللَّهُ عَلى عِبادِهِ بِحَيْثُ تَتَضَمَّنُ تِلْكَ الشُّرُوطُ الأمْرَ بِما نَهى اللَّهُ عَنْهُ أوْ النَّهْيَ عَمّا أمَرَ بِهِ أوْ تَحْلِيلَ ما حَرَّمَهُ أوْ تَحْرِيمَ ما حَلَّلَهُ فَهَذِهِ الشُّرُوطُ باطِلَةٌ بِاتِّفاقِ المُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ العُقُودِ .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ، فحكم الله هو دين المسلم و عقيدته وحكم الله دين الدولة ومؤسساتها وحكم الله هو المصدر للسلطات عند المسلم لا الأفكار الفلسفية الغربية الوضعية التي يتغنى بها البعض قال تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾

بماذا أمرنا نبي الله محمد ﷺ؟

١- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: «بايَعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثَرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله».

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عليكَ السمعُ والطاعة في عُسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»

• طاعة المسلم لولي الأمر المسلم غير مشروطة بكونه عادلًا، سواء كان ظالمًا أو عادلًا فله السمع والطاعة، وقوله ﷺ: «وأثرة علينا» الأثرة تعنى: الاستئثار من الأمير ظلمًا وعدوانًا.

٣- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، قال: قلنا: يا رسول الله، لا نسألك عن طاعة من اتقى، ولكن من فعل وفعل -فذكر الشر-. فقال: «اتقوا الله، واسمعوا وأطيعوا».

• الظلم والاستئثار والفجور والتعدي لا يُبيح للمسلم شرعًا أن ينزع يده من طاعة ولي أمره المسلم ، لا هو ولا العلماء ولا الأعيان ولا أهل الحل والعقد - كما أصطلح عليه البعض - فإن نزع يد الطاعة من ولي الأمر المسلم إن كان فاجرا هو خروج وطغيان ، وانما علينا جميعاً الصبر كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأحاديث الكثيرة الواضحة المتواترة في المعنى حتى نلقاه على الحوض ان شاء الله ، وأما أفعال ولي الأمر ونوابه المخالفة للشرع فسيحاسبهم الله -تعالى- عليها، وعلى المسلم شرعًا وديانةً السمع والطاعة للحاكم المسلم في غير معصية الله، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة في كل ما يصدق عليه معصية الله -تبارك وتعالى-، فتشمل كل أنواع الذنوب؛ فإذا أمرك بإحضار كأس الخمر له فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمرك بقتل مسلم من غير حدٍّ ولا جريمة فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمرك بأي نوع من الشرك فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمرك بالسرقة فلا سمع ولا طاعة.

• فكل معصية يأمر بها فلا سمع ولا طاعة، وأي أمر من الحاكم ليس بمعصية يجب طاعته فيه، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وهو هدي الصحابة، قال علي لعثمان -رضي الله عنهما-: «لَوْ سَيَّرَنِي عُثْمانُ إلى صِرارٍ، لَسَمِعْتُ لَهُ وأَطَعْتُ»، وقال أبو ذرٍّ لعثمان -رضي الله عنهما- : «واللَّهِ لَوْ أمَرْتَنِي أنْ أقُومَ ما قَعَدْتُ، ما مَلَكَتْنِي رِجْلايَ، ولَوْ وثَّقْتَنِي بِعُرْقُوَتَيْ قَتَبٍ ما حَلَلْتُهُ، حَتّى تَكُونَ أنْتَ الَّذِي تَحُلُّنِي».

• هذا هو الأصل في هذا الباب، فأما ما راج في هذا الزمن ممن أُشربوا سمَّ ابن سبأ ونهج الخوارج الذين روَّجوا إيراداتهم الخارجية باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تصطدم مع صريح كلام وبيان رسول الله ﷺ الواضح المتضافر، ففعلهم هو سلوك ونهج أهل الأهواء في اتباع المتشابه، قال -تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فقال: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله، فاحذروهم».

٤- سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رضي الله عنه رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ».

• طاعة الحاكم المسلم فرضٌ، وإن لم يؤدِّ الذي عليه بحقِّ شعبه وأمته.

٥- قَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ... وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ».

• المسلم الدنيوي الذي يتبع مصلحته المادية -ولسان حاله يقول: إذا وجدت مصلحتي الدنيوية الملموسة فثم شرع الله!

- فهو الذي إذا أُعطِيَ رَضِيَ على ولي أمره وحكومته ودولته وأيَّد، وإنْ مُنِعَ سَخِطَ وغضِبَ على حاكمه وولي أمر وثَرْثَرَ وطعن.

٦- عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ».

• لم يأمر النبي ﷺ المسلمين بترك الصلاة خلف الحاكم الذي صلى الصلاة بغير وقتها، وهي ثاني أركان الإسلام.

٧- قال ﷺ: «اسمع وأطع في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك».

• الزم طاعة ولي أمرك ديانة وعبودية لله، وعليك أيها المسلم أن تصبر على البلاء والظلم، ولك أن تنصح ولي الأمر بالسر عنده إن استطعت، فقد وقعت الفتنة في عهد عثمان -رضي الله عنه- فقال بعض الناس لأسامة بن زيد -رضي لله عنه-: ألا تكلِّم عثمان؟ فقال: «إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم؟! إني أكلمه فيما بيني وبينه، دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من افتتحه». فهذا هو الشرع، قال ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه».

٨- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

٩- قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وإذا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

١٠- جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة، وآتِ الزكاة، وصُم رمضان، وحُج البيت واعتمر، واسمع وأطع، وعليك بالعلانية وإياك والسر».

١١- قال ﷺ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

• رغم الحرمة الشديدة لدم المسلم، إلا أنه ﷺ أمر ولي الأمر بقتله إن أراد تفريق الأمة والجماعة عن ولي أمرها وسلطته.

١٢- خطب ﷺ في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم».

١٣- عن الْعِرْبَاضُ بن سارية رضي الله عنه ، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

١٤- قال ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصيًا، فلا تسأل عنه...».

١٥- قال ﷺ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

١٦- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ،قال: جاءَ نَاسٌ -يَعْنِي مِنَ الْأَعْرَابِ- إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُصَدِّقِينَ يَأْتُونَا فَيَظْلِمُونَا. قَالَ: فَقَالَ: «أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ ظَلَمُونَا؟ قَالَ: «أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ» زَادَ عُثْمَانُ: «وَإِنْ ظُلِمْتُمْ». قَالَ جَرِيرٌ: مَا صَدَرَ عَنِّي مُصَدِّقٌ بَعْدَمَا سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ.

المصدِّقون موظفون من قبل ولي الأمر، وهم عمَّال الزكاة المكلَّفون بجمعها من قبل ولي الأمر.

١٧- قال أنس بن مالك رضي الله عنه: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: «لا تسبّوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب».

١٨- عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

١٩- قال ﷺ: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ».

٢٠- قال ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِه عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ».

٢١- قال ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ».

٢٢- قال ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

٢٣- قال ﷺ: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ».

٢٤- عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: أوصانى رسول الله ﷺ بتسع، وذكر منها: «ولا تُنازعن ولاة الأمر وإن رأيتَ أنَّك أنتَ».

٢٥- قال ﷺ: «أطيعوا أمراءكم مهما كان، فإن أمروكم بشيءٍ مما لم آتكم به فهو عليهم وأنتم منه براء، وإن أمروكم بشيءٍ مما جئتكم به فإنهم يؤجرون عليه وتؤجرون عليه. ذلكم بأنكم إذا لقيتم ربكم قلتم: ربنا، لا ظلم. فيقول: لا ظلم. فتقولون: ربنا، أرسلت إلينا رسلًا فأطعناهم، واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم، وأمَّرت علينا أمراء فأطعناهم. فيقول: صدقتم، هو عليهم وأنتم منه براء».

هذه الأحاديث الكثيرة الواضحة في بيان منهج وعقيدة المسلم مع ولي أَمْرِهِ، يعمل المسلم بموجبها ديانةً ولا يكتمها، ويصدع بها عقيدةً، قال تعالى: ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ﴾

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن طاعة النبي ﷺ فرض، وأنها أحد أركان الإيمان والإسلام ولذلك:

قال الله تعالى: ﴿وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾

وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

وبعد أن ذكرنا بعض الآيات في أمر الله تعالى بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ بأوامره فالحذر من مخالفة ذلك، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»

وعن أبي سعيد بن المعلى (رضي الله عنه) قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: «ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

قال الإمام أحمد رحمه الله : نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله - ﷺ - في ثلاثة وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة ؟ الشرك ، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

الحياة والأمن والعزة في الدنيا والآخرة بالإيمان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم اعتقاداً وقولاً وعملاً، لا بالأفكار الوضعية الغربية للسلطة والشعب والفرد ولا بنهج الخوارج الغوغاء.

كتبه: محمد عثمان العنجري

قال ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح –وفقه الله لما يحب ويرضى– ضمن خطابه الذي ألقاه يوم الأربعاء ٢٢ يونيو ٢٠٢٢:

«نناشدكم أبناء وطننا العزيز أن لا تُضيّعوا فرصة تصحيح مسار المشاركة الوطنية حتى لا نعود إلى ما كنا عليه لأن هذه العودة لن تكون في صالح الوطن والمواطنين وسيكون لنا في حالة عودتها إجراءات اخرى ثقيلة الوقع والحدث».

النقد المُبَرمج

قال النائب السابق في البرلمان الكويتي الذي حُلّ سنة ١٩٨٦بلقاء مصوّر عن صراعهم مع سلطة دولة الكويت :

« تم الاتفاق فيما بيننا – أي نواب المعارضة كما يسمّونهم – في اجتماع كبير في بيت ... انه لازم نشرع باستجواب العناصر القوية في الحكومة لاسقاط هيبتها ، حتى نشتغل على اسقاط الهيبة ، الهيبة يعني تكمن في اعضاء الاسرة طبعا ، هيبة الحكومة في أعضاء الأسرة».

هذا الإعتراف الصريح والذي تم تسجيله ونشره في عام ٢٠١٩ قاله النائب بإرادته الحرة الواعية.

🔵 قالها صراحة: أنهم اجتمعوا في اجتماعهم الكبير يريدون الاسقاط ، يريدون اسقاط الهيبة ، وقالها واضحة: ولن تسقط الهيبة إلا بإسقاط ابناء الاسرة الحاكمة تحديدا. ما نراه اليوم تطبيق عملي لخطاباتهم وكتاباتهم في وسائل التواصل الإجتماعي، فأنهم يحضّون ويحرّضون على التذمّر كخطوة على الطريق؛ لخلق الغضب وإيغال الحنق في الصدور، وهو نهج ابن سبأ قبل **١٤٠٠** سنة، وإن سُمِّي هذا النهج التحريضي بالإصلاحي، أو الليبرالي، أو الديمقراطي، أو القومي التقدمي، أو الدستوري، أو البعثي، أو الشيوعي، أو الناصري، أو الاشتراكي، أو الإخواني، أو نهج أتباع خط الإمام، أو القانوني، أو النهضوي، أو السلفي! فالمسميات لا اعتبار لها، وإنما العبرة بموافقة الشرع المعظم اعتقادًا وقولًا وعملًا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

🔴 فمن قرأ التاريخ الإسلامي يعلم أن ابن سبأ والخوارج قد دعوا الناس إلى منازعة الأمر أهله، وقد قال النبي ﷺ: «بايعوني على... وأن لا تنازعوا الأمر أهله»، ومعنى قول النبي ﷺ في الحديث: «تنازعوا الأمر»: منازعة السلطة، وقوله ﷺ: «تنازعوا الأمر أهله»: منازعة من بيده السلطة والأمر، وهو الأمير.

🔵 وبيعة المؤمن للنبي ﷺ -كما في الحديث- تلزمه إلى الممات، ونسأل الله الثبات، أما هذه المجاميع المحرِّضة اليوم فهي على نهج وفكر ابن سبأ باسم الإصلاح وحرب الفساد، ومآلها في النهاية الخروج على ولي الأمر المسلم بطريقة أو بأخرى، ولذلك هم يسعون دائمًا للنزول إلى الشارع متى ما حانت لهم الفرصة، وتحت شعار: سلمية سلمية سلمية، أو غيره.

وهذا النهج والفكر قديم في التاريخ الإسلامي، وأول من رفع لواء هذا النهج: مُشْعِل الفتن عبد الله بن سبأ، كما بيَّن ذلك الإمام الآجُرّي رحمه الله (ت 264هـ) في كتابه "الشريعة" قبل أكثر من ألف سنة. وكان ابن سبأ يدَّعي الإصلاح ومحاربة الفساد على خط ونهج الخوارج في عهد الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان –رضي الله عنه–.

فنهج ابن سبأ هو نهج المعارضة السياسية اليوم في الدول الإسلامية؛ يبتدئون أولًا بالطعن في الأمراء –أي في السلطة– تحت دعوى الإصلاح وحرب الفساد، فيستميلوا بهذه الطريقة قلوب بعض الناس، قال تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ويخبرنا الله –تعالى– أن فينا من يسمع كلامهم ويُطيعهم، ثم تبتدأ المرحلة الثانية فيبدأ عمل فريق ابن سبأ باستثارة المجاميع المؤيدة للانخراط تحت راية محاربة الفساد، وهنا أَمَر ابن سبأ أتباعه بتسخير الإعلام والنشر لخدمة "حَزْبه"، من خلال الرسائل والكتابات المسمومة والمملوءة بالأخبار المبالغ فيها والشائعات السيئة؛ ليخلق القلق والسخط في النفوس. وهنا تستطيع "المعارضة" –كما يسمونها اليوم، وليس في الإسلام معارضة، وإنما هي خروج مُحرَّم ومنازعة لولي الأمر المسلم– خَلْق وتوليد الغضب للوصول إلى تكثيف التأييد، ولو كان الثمن أنهارًا من الدماء والأرواح والتشريد! ولكن مرضى القلوب وأهل الحنق والأهواء سيبررون لك كل هذه المآسي والكوارث والمحن، وكذلك سيبررون لك الوسائل المستخدمة من قبلهم تحقيقًا لغاياتهم وأهدافهم، كما فعل ابن سبأ مع أتباعه.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في كتابه "فتح الباري": «إن قتل عثمان –رضي الله عنه– كان أشد أسبابه: الطعن على أمرائه، ثم عليه بتوليته لهم».

والخوارج شر الناس تحت سماء الدنيا كما وصفهم النبي ﷺ، فقد كفّروا عليًّا ومعاوية –رضي الله عنهما– لتحقيق أهوائهم، ونحن اليوم نرى مجاميع تعمل على خلق التشاؤم وزرع الغضب والقلق في قلوب المسلمين، ومن أساليبهم وهديهم أنهم إذا رأوا حسنة من

ولي الأمر غطَّوها ودفنوها وقزَّموها، وإذا رأوا سيئة أذاعوا بها وأبرزوها وضخَّموها ودندنوا حولها؛ توليدًا للغضب والسخط في قلوب الناس على ولاة أمرهم، ولننظر اليوم إلى الكلمات والكتابات في وسائل التواصل الاجتماعي سنجدها تجسِّد فكر ابن سبأ ونهجه المبرمج.

ولذلك سأذكر الأدلة المفصلة الواضحة والمتضافرة في بيان منهج المسلم في معاملة ولي أمره المسلم وحكومته، سواء كان ولي الأمر عادلًا خيِّرًا أو ظالمًا فاجرًا، وقبل ذكر الأحاديث الواضحة في هذا الباب أذكِّر نفسي وإياكم بقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: «يقسم –تعالى– بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي: إذا حكَّموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلِّمون لذلك تسليمًا كليًّا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة».

وقبل الشروع في ذكر أحاديث النبي ﷺ في لزوم طاعة ولي الأمر ، أود أن أقول :

إن العقد المعتبر في الإسلام هو الموافق لأحكام الشريعة، أما العقد المخالف للشرع فهو باطل ، وإن كان عن تراض بين المتعاقدين ، فالتراضي لا يحل الحرام وقد قال ﷺ «ما كان من شرط ليس في كتاب الله –عز وجل– فهو باطل، وإن كان مائة شرط، كتاب الله أحق، وشرط الله أوثق». فالمسلم يتدين لله –تعالى– بأن كل شرط وعقد خالف كلام الله وكلام رسوله فهو باطل مردود، وما لم يخالف كلام الله وكلام رسوله فهو لازم، كما قال الله –تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾، ولذلك يجب أن

تكون العقود والشروط موافقة للكتاب والسنة، وليست العبرة بمطلق التراضي بين المتعاقدين ،قال ﷺ : "ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة مرة". ، قال ابن تيمية رحمه الله : «وهَذا الحَدِيثُ الشَّرِيفُ المسْتَفِيضُ الَّذِي اتَّفَقَ العُلَماءُ عَلى تَلَقِّيهِ بِالقَبُولِ اتَّفَقُوا عَلى أنَّهُ عامٌّ فِي الشُّرُوطِ فِي جَمِيعِ العُقُودِ لَيْسَ ذَلِكَ مَخْصُوصًا عِنْدَ أحَدٍ مِنهُمْ بِالشُّرُوطِ فِي البَيْعِ بَلْ مَن اشْتَرَطَ فِي الوَقْفِ أوْ العِتْقِ أوْ الهِبَةِ أوْ البَيْعِ أوْ النِّكاحِ أوْ الإجارَةِ أوْ النَّذْرِ أوْ غَيْرِ ذَلِكَ شُرُوطًا تُخالِفُ ما كَتَبَهُ اللَّهُ عَلى عِبادِهِ بِحَيْثُ تَتَضَمَّنُ تِلْكَ الشُّرُوطُ الأمْرَ بِما نَهى اللَّهُ عَنْهُ أوْ النَّهْيَ عَمّا أمَرَ بِهِ أوْ تَحْلِيلَ ما حَرَّمَهُ أوْ تَحْرِيمَ ما حَلَّلَهُ فَهَذِهِ الشُّرُوطُ باطِلَةٌ بِاتِّفاقِ المسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ العُقُودِ».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فحكم الله هو دين المسلم و عقيدته وحكم الله دين الدولة ومؤسساتها وحكم الله هو المصدر للسلطات عند المسلم لا الأفكار الفلسفية الغربية الوضعية التي يتغنى بها البعض قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾

بماذا أمرنا نبي الله محمد ﷺ؟

١. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال: «بايَعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثَرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله».

٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ «عليكَ السمعُ والطاعة في عُسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»

طاعة المسلم لولي الأمر المسلم غير مشروطة بكونه عادلًا، سواء كان ظالمِا أو عادلًا فله السمع والطاعة، وقوله ﷺ: «وأثرة علينا» الأثرة تعنى: الاستئثار من الأمير ظلمًا وعدوانًا.

٣. وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه ، قال: قلنا: يا رسول الله، لا نسألك عن طاعة من اتقى، ولكن من فعل وفعل -فذكر الشر-. فقال: «اتقوا الله، واسمعوا وأطيعوا».

الظلم والاستئثار والفجور والتعدي لا يُبيح للمسلم شرعًا أن ينزع يده من طاعة ولي أمره المسلم ، لا هو ولا العلماء ولا الأعيان ولا أهل الحل والعقد -كما أصطلح عليه البعض- فإن نزع يد الطاعة من ولي الأمر المسلم إن كان فاجرا هو خروج وطغيان، وانما علينا جميعاً الصبر كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأحاديث الكثيرة الواضحة المتواترة في المعنى حتى نلقاه على الحوض ان شاء الله ، وأما أفعال ولي الأمر ونوابه المخالفة للشرع فسيحاسبهم الله -تعالى- عليها، وعلى المسلم شرعًا وديانةً السمع والطاعة للحاكم المسلم في غير معصية الله، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة في كل ما يصدق عليه معصية الله -تبارك وتعالى-، فتشمل كل أنواع الذنوب؛ فإذا أمرك بإحضار كأس الخمر له فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمرك بقتل مسلم من غير حدٍّ ولا جريمة فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمرك بأي نوع من الشرك فلا سمع ولا طاعة، وإذا أمرك بالسرقة فلا سمع ولا طاعة.

فكل معصية يأمر بها فلا سمع ولا طاعة، وأي أمر من الحاكم ليس بمعصية يجب طاعته فيه، قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وهو هدي الصحابة، قال علي لعثمان-رضي الله عنهما-:«لَوْ سَيَّرَنِي عُثْمانُ إلى صِرارٍ، لَسَمِعْتُ لَهُ وأطَعْتُ»، وقال أبو ذرٍّ لعثمان -رضي الله عنهما- : «واللّهِ لَوْ أمَرْتَني أنْ أقُومَ ما قَعَدْتُ، ما مَلَكَتْنِي رِجْلايَ، ولَوْ وثَّقْتَني بِعُرْقُوَتَيَّ قَتَبٍ ما حَلَلْتُهُ، حَتّى تَكُونَ أنْتَ الَّذِي تَحُلُّنِي».

هذا هو الأصل في هذا الباب، فأما ما راج في هذا الزمن ممن أُشربوا سمَّ ابن سبأ ونهج الخوارج الذين روَّجوا إيراداتهم الخارجية باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تصطدم مع صريح كلام وبيان رسول الله ﷺ الواضح المتضافر، ففعلهم هو سلوك ونهج أهل الأهواء في اتباع المتشابه، قال –تعالى-:﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فقال: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله، فاحذروهم».

٤. سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رضي الله عنه رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ».

طاعة الحاكم المسلم فرضٌ، وإن لم يؤدِّ الذي عليه بحقِّ شعبه وأمته.

٥. قَالَ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ... وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ».

المسلم الدنيوي الذي يتبع مصلحته المادية –ولسان حاله يقول: إذا وجدت مصلحتي الدنيوية الملموسة فثم شرع الله!– فهو الذي إذا أُعطِيَ رَضيَ على ولي أمره وحكومته ودولته وأيَّد، وإنْ مُنِعَ سَخِطَ وغضِبَ على حاكمه وولي أمر وثَرْثَر وطعن.

٦. عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ».

🔴 لم يأمر النبي ﷺ المسلمين بترك الصلاة خلف الحاكم الذي صلى الصلاة بغير وقتها، وهي ثاني أركان الإسلام.

٧. قال ﷺ: «اسمع وأطع في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك».

🔵 الزم طاعة ولي أمرك ديانة وعبودية لله، وعليك أيها المسلم أن تصبر على البلاء والظلم، ولك أن تنصح ولي الأمر بالسر عنده إن استطعت، فقد وقعت الفتنة في عهد عثمان –رضي الله عنه– فقال بعض الناس لأسامة بن زيد –رضي لله عنه–: ألا تكلِّم عثمان؟ فقال: «إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم؟! إني أكلمه فيما بيني وبينه، دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من افتتحه». فهذا هو الشرع، قال ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه».

٨. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

٩. قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وإذا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

١٠. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة، وآتِ الزكاة، وصُم رمضان، وحُج البيت واعتمر، واسمع وأطع، وعليك بالعلانية وإياك والسر».

١١. قال ﷺ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ».

● رغم الحرمة الشديدة لدم المسلم، إلا أنه ﷺ أمر ولي الأمر بقتله إن أراد تفريق الأمة والجماعة عن ولي أمرها وسلطته.

١٢. خطب ﷺ في حجة الوداع فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربكم».

١٣. عن الْعِرْبَاضُ بن سارية رضي الله عنه ، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

١٤. قال ﷺ: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصيًا، فلا تسأل عنه...».

١٥. قال ﷺ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

١٦. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، قال: جاءَ نَاسٌ -يَعْنِي مِنَ الْأَعْرَابِ- إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُصَدِّقِينَ يَأْتُونَا فَيَظْلِمُونَا. قَالَ: فَقَالَ: «أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ ظَلَمُونَا؟ قَالَ: «أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ» زَادَ عُثْمَانُ: «وَإِنْ ظُلِمْتُمْ». قَالَ جَرِيرٌ: مَا صَدَرَ عَنِّي مُصَدِّقٌ بَعْدَمَا سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ.

المصدِّقون موظفون من قبل ولي الأمر، وهم عمّال الزكاة المكلَّفون بجمعها من قبل ولي الأمر.

١٧. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: «لا تسبّوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا؛ فإن الأمر قريب».

١٨. عن أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

١٩. قال ﷺ: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ».

٢٠. قال ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذْ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ».

٢١. قال ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ».

٢٢. قال ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

٢٣. قال ﷺ: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ».

٢٤. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بتسع، وذكر منها: «ولا تُنازعن ولاة الأمر وإن رأيت أنَّك أنت».

٢٥. قال ﷺ: «أطيعوا أمراءكم مهما كان، فإن أمروكم بشيءٍ مما لم آتكم به فهو عليهم وأنتم منه براء، وإن أمروكم بشيءٍ مما جئتكم به فإنهم يؤجرون عليه وتؤجرون عليه. ذلكم بأنكم إذا لقيتم ربكم قلتم: ربنا، لا ظلم. فيقول: لا ظلم. فتقولون: ربنا، أرسلت إلينا رسلًا فأطعناهم، واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم، وأمَّرت علينا أمراء فأطعناهم. فيقول: صدقتم، هو عليهم وأنتم منه براء».

هذه الأحاديث الكثيرة الواضحة في بيان منهج وعقيدة المسلم مع ولي أَمْرِهِ ، يعمل المسلم بموجبها ديانةً ولا يكتمها ، ويصدع بها عقيدةً ، قال تعالى

﴿ومَن أظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وما اللَّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ﴾

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن طاعة النبي ﷺ فرض، وأنها أحد أركان الإيمان والإسلام ولذلك :

قال الله تعالى: ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾

وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

وقال تعالى:﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

وقال تعالى:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

وبعد أن ذكرنا بعض الآيات في أمر الله تعالى بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والأخذ بأوامره فالحذر من مخالفة ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»

وعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي فقال: «ألم يقل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

قال الإمام أحمد رحمه الله : نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله – ﷺ – في ثلاثة وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة ؟ الشرك ، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه ، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلا ورَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

الحياة والأمن والعزة في الدنيا والآخرة بالإيمان بأمر النبي ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً، لا بالأفكار الوضعية الغربية للسلطة والشعب والفرد، ولا بنهج الخوارج الغوغاء.

كتبه: **الشيخ محمد عثمان العنجري**

منشور في جريدة الجريدة في يوم الجمعة

25 ذي القعدة 1443هـ

الموافق 24 يونيو 2022م